*طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم 1*

*بحث فى مقاصد الشريعة*

*إعداد أ/ نسمة حسن سيد*

*قسم الفقه وأصوله*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*nesma.hassan@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم**

**الكلمات المفتاحية : العقل، الإنسان ،الشرع**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم**

1. **عنوان المقال**

**أولًا: بيان طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود:**

**بيان معنى العقل:**

**لقد فضل الله تعالى الإنسان بالعقل، وبه صار خليفة الله في أرضه، وسخر له ما في البر والبحر بواسطة هذا العقل، وكلفه بعبادته وطاعته اعتمادًا على وجود العقل، وكون العقل مصلحة عظمى وقيمة عليا، لا يماري في ذلك أحد، وجلب مصالح الدنيا والآخرة يحتاج إلى الشرع، والشرع لا يقوم إلا على العقل؛ لأنه أساس التكليف، ومن هنا وضع العلماء قاعدة: "لا تكليف إلا بالعقل"، وأن العقل مناط التكليف.**

**والكلام على العقل يقتضينا أن نرسم ثلاثَ دوائر لوسائل المعرفة والعلم:**

**الأولى: دائرة العقل، وهي أكثر شمولًا وإحاطةً عن دائرة الحواس؛ لأنها تستطيع الإحاطة بغير المشاهد.**

**الثانية:. دائرة الحواس، وهي أضيقها؛ لأنها لا تتعدى عالم الشاهد المشاهد.**

**الثالثة: دائرة الوحي، وهي أعم الدوائر وأشملها وأوسعها.**

**وهذه الدوائر الثلاث، ليست منفصلة بعضها عن بعض ولا متنافرة، بل كل واحدةٍ أقل من أختها، تعتبر مقدمة لها وأساسها الذي تقوم عليه، وكل واحدةٍ أعلى من أختها تعتبر مهيمنة عليها، ومتحكمة في تصحيح إدراكها وردها إلى الصواب، وليس هناك تعارضٌ بين دائرة وأخرى إلا في أذهان الناس الذين يُنكرون وجود إحدى الدوائر الثلاث، أو لا يحسنون ترتيبها مع بقية الدوائر، وكل ألوان الانحرافات الفكرية والاعتقادية، ترجع إلى إنكار إحدى الدوائر، أو الاستخفاف بمكانتها في سلسلة وسائل الإدراك، الذي هو حصول صورة الشيء في الذهن، فدائرة الحواس مقدمةٌ لدائرة العقل، ودائرة العقل مقدمة لدائرة الوحي، وذلك لأن الحواس إذا زالت لا يُتصور وجود العقل بدونها، ودائرة العقل إذا زالت زال التكليف والإدراك للوحي.**

**الأولى: دائرة العقل:**

**العقل كمصلحة تستحق المحافظة عليها؛ لما قدمنا من أنه الميزة التي ميز الله بها الإنسان، وفضله على كثير من المخلوقات، ولا بد من طرقٍ يحافظ بها عليه من حيث الوجود ومن حيث العدم.**

**يقول صاحب (العقائد النسفية): أسباب العلم للخلق ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، والعقل.**

**والمراد بالحواس السليمة: الحواس الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، وهي ما تسمى بالحواس الخمس الظاهرة، ولكل حاسةٍ منها مجال لا تتعداه، والمراد بالخبر الصادق: ما جاء عن طريق النقل المتواتر أو المعجزة القاطعة، وهو على نوعين:**

**أحدهما: الخبر المتواتر، وهو الخبر الثابت على ألسنة قومٍ لا يُتصور تواطؤهم على الكذب، وهو موجبٌ للعلم الضروري، كالعلم بالممالك الخالية في الأزمنة الماضية، والعلم بالبلدان النائية كمكة، وبغداد، وغيرها.**

**الثاني: خبر الرسول  المؤيد بالمعجزة، وهو يوجب العلم الاستدلالي، والعلم الثابت به، يضاهي العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات.**

**أما العقل فتشعبت الآراء في تعريفه وبيان حقيقته أو المقصود به؛ لأنه يأتي استعماله لمعانٍ كثيرة، وقال صاحب (العقائد النسفية): وهو سببٌ للعلم، وما ثبت منه بالبداهة فهو ضروريٌّ، كالعلم بأن كل الشيء أعظم من جزئه، وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابه.**

**وجاء في (معيار العلم) للإمام الغزالي -رحمه الله-: أما العقل فهو اسم مشترك تطلقه الجماهير والفلاسفة والمتكلمون على وجوهٍ مختلفة لمعاني مختلفة، والمشترك لا يكون له حدٌّ جامع، وعلى هذا لا بد من تقسيمه قبل تبيين المراد به؛ لأنه يختلف باختلاف الإطلاقات.**

**أما الجماهير، فيطلقونه على ثلاثة أوجه:**

**الأول: الفطرة الأولى في الناس، فيقال لمن صحت فطرته الأولى: إنه عاقل، فيكون حده: قوة بها يوجد التمييز بين الأمور القبيحة والحسنة.**

**الثاني: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده: أنه معانٍ مجتمعة بالذهن تكون مقدمات تستنبط بها المصالح والأغراض.**

**الثالث: يرجع إلى وقار الإنسان وهيئاته، ويكون حده: أنه هيئة محمودة للإنسان في حركاته وسكناته وهيئته وكلامه واختياره.**

**أما الفلاسفة، فالعقل عندهم مشترك لثمانية معانٍ مختلفة.**

**ممّا تقدم يظهر لنا أن العقل قوةٌ في نفس الإنسان يستطيع عن طريقها إدراك العلوم وتحصيل المعارف، وله عدة إطلاقات ومعانٍ مختلفة عند العلماء والحكماء والعامة، والذي نقصده هو القوة الإدراكية التي تلي قوة الحواس وفي مجالٍ يفوق مجال الحواس، ودون مجال الوحي الإلهي الذي يأتي عن طريق الرسل، لهداية العقل الإنساني إلى سواء السبيل، ويجنبه الزلل والضلال، ويخرجه من الظلمات إلى النور.**

**يقول صدر الشريعة، في كتابه (التوضيح على التنقيح): إن النفس الإنسانية مدركةٌ بالقوة، فإذا أشرق عليها الجوهر، خرج إدراكها من القوة إلى الفعل، فالمراد بالعقل هذا النور المعنوي الذي حصل بإشراق ذلك الجوهر، وقد يطلق العقل على قوةٍ للنفس بها يكتسب العلوم، وهي قابلية النفس لإشراق ذلك الجوهر.**

**العقل ميزان التفاوت بين الأفراد:**

**هذه القوة المدركة التي تسمى العقل تتفاوت في أفراد الناس، وهذه الدعوى ليست في حاجة إلى برهان؛ لأنه من المعلوم بالضرورة والبداهة، وأسباب التفاوت ترجع أولًا إلى حكمة الله في خلقه، فالاختلاف حاصلٌ في كلِّ صفةٍ لا تتعلق بالقيمة الإنسانية المشتركة بين جميع بني آدم الذي منحه الله الكرامة والتفضل على كثير ممّن خلق، فالألوان والأحجام والألسنة مختلفة، وتدبير شئون الحياة عند كلِّ فردٍ مختلف، فالعقول أيضًا مختلفة ومتفاوتة؛ وذلك لزيادة قابلية بعض النفوس ذلك الفيض والإشراق؛ لشدة صفائها ولطافتها في مبدأ الفطرة، ونقصان القابلية في بعضها لقدرتها وكثافتها في أصل الخِلقة.**

**والعقول متدرجة من النقصان إلى الكمال بواسطة كثرة العلوم ورسوم الملكات المحمودة؛ فتصير أشد تناسبًا بذلك الجوهر، وتزداد استضاءتها بأنواره، واستفادتها مغانم آثاره، فالقابلية المذكورة سببٌ لحصول العلم والعمل، وحصول العلم والعمل سببٌ لزيادة تلك القابلية، والإطلاع على حصول ما ذُكِر أنه مناط التكليف متعذر، فقدره الشرع بالبلوغ إذ عنده تتم التجارب بتكامل القوى الجسمانية، التي هي مراكب القوى العقلية ومسخرة لها بإذن الله، وقد أقام الشارع البلوغ وقتًا للتكليف من إقامة السبب الظاهر مقام حكمه، كما في السفر والمشقة؛ وذلك لحصول شرائط كمال العقل وأسبابه في ذلك الوقت، بناءً على تمام التجارب الحاصلة بالإحساسات الجزئية والإدراكات الضرورية، وتكامل القوى الجسمانية من القوة المدركة والمحركة التي هي مراكب للقوة العقلية.**

**فالقوة العقلية تختلف باختلاف الناس، كغيرها من بقية الصفات التي ميز الله بها الناس بعضهم عن بعض، وجعلهم درجات في التفكير والتعقل والتقدير والتدبير.**

**المراجع والمصادر**

1. **الريسوني، أحمد الريسوني، (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م**
2. **ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، (مقاصد الشريعة الإسلامية) ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2005م**
3. **العالم، يوسف حامد العالم، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، هيرندن –فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991م**
4. **الجندي، سميح الجندي، (أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم) ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، 2003م**
5. **عطية، جمال الدين عطية، (النَّظرية العامة للشريعة الإسلامية) ، القاهرة، مطبعة المدينة، 1988م**
6. **الحسني، إسماعيل الحسني، (نظرية المقاصد عند ابن عاشور) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م**
7. **عبد الخالق، عبد الرحمن عبد الخالق، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، مكتبة الصحوة الإسلامية، 1985م**
8. **الفاسي، علال الفاسي، (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها) ، دار الغرب الإسلامي، 1993م**
9. **الصدي، محمد علي الصدي، (مقاصد الشارع الضرورية دراسة تأصيلية) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2004م**
10. **الخادمي، نور الدين مختار الخادمي، (المقاصد الشرعية: تعريفها، أمثلتها، حجتها) ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، 2003م**
11. **الزحيلي، محمد الزحيلي، (مقاصد الشريعة) ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م**
12. **العالم، يوسف حامد العالم، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، الدار العالمية للكتاب الإسلامية، 1994م**
13. **الخادمي، نور الدين مختار الخادمي، (المقاصد الشرعية وصلتها بالأدلة الشرعية وبعض المصطلحات الأصولية) ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، 2003م**